مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 09 / العـدد: 1 (2023)، ص 29- 46

الطرق الصوفية بالجنوب الغربي خلال العهد العثماني- الطريقة الشيخية أنموذجا-

The Sufi tarikas in the Southwest during the Ottoman Era

- The Sheikhi tarika as a Model –

نور الدين أولاد بوجمعة[1*]، محمد مكحلي[2]
[1] جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس (الجزائر)، ouladboudjma@gmail.com
[2] جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس (الجزائر)، m_mekahli@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/12/07 تاريخ النشر: 2023/06/18

ملخص: احتلت الصوفية مكانة هامة في المجتمع الجزائري، حيث تطورت تنظيميا من المظهر النخبوي إلى الاتجاه الشعبي المؤسساتي بظهور الطرق الصوفية والزوايا، التي استقطبت مختلف الشرائح. وموضوع التصوف من القضايا التي لازالت تثير اهتمام الباحثين كون أن ظاهرة التصوف تمثل جزءا من العطاء الحضاري الذي يرتبط بالأفكار والممارسات. كما حظي الجانب الديني بقسط وافر في سياسة العثمانيين بالجزائر خلال الفترة الحديثة، الأمر الذي ساهم في تنامي الحركة الصوفية، فقد شكّلت منطقة الجنوب الغربي أهم المناطق التي احتضنت التصوف، وشهدت ميلاد عدّة طرق صوفية، مثل الشيخيّة ذات الأصول الشاذلية، حيث تمكّن خطابها الصوفي من إيجاد مكانة لنفسه، واكتسحت الزوايا الشيخيّة منطقة الجنوب الغربي، التي قدّمت خدمات جليلة على عدّة أصعدة، فالدراسة تتناول ظروف ظهور الشيخيّة وانتشارها بالجنوب الغربي، وتسعى لإبراز إسهامات الطريقة الشيخيّة بالمنطقة خلال الحكم العثماني.

كلمات مفتاحية: التصوف؛ الطريقة الشيخية؛ الجنوب الغربي؛ سيد الشيخ؛ السلطة العثمانية.

Abstract: Sufism occupied an important position in the Algerian society, as it flourished organizationally from an elitist appearance to an institutional one by the emergence of Sufi tarikas and Zawaya, which attracted various social segments. The Sufism subject is one of the issues that still arouse the researchers interest, since this phenomenon is a part of the civilization giving which is related to ideas and practices. Religion also had a great deal in the policy interest of the Ottomans in Algeria at the modern era. That contributed to the Soufi mouvement development. The southwest region was the most important region that

*المؤلف المرسل

embraced Sufism, and witnessed the birth of several Sufi tarikas such as the Sheikhi tarika of Shadhili origins, whose Sufi discourse was able to find a place for itself thanks to his eminence, and Al-Zawaya Al-Sheikhia swept the southwestern region and provided great services in several fields. This study treats the conditions under which the Sheikhi tarika appeared and its spread in the southwest.

Keywords: Sufism; the Sheikh's tarika; the southwest; Sid El-Sheikh; the Ottoman authority.

1. مقدمة:

إنّ التاريخ الثقافي والاجتماعي للجزائر العثمانية شكّل ميدانا خصبا للبحث، لما يتضمنه من قضايا عديدة، والذي لازال يحتاج إلى دراسة معمّقة، فإلى جانب الأحداث الهامة التي ميّزت العهد العثماني في الجزائر من سياسية وعسكرية، فقد وُجد رصيد ثقافي ساهمت في تشكيله الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الجزائري آنذاك، حيث كان القرن السادس عشر منعطفا حاسما في تاريخ بلاد المغارب الحديث، فبعد انتصاب الحكم العثماني بالجزائر عرفت ظاهرة التصوف تناميا واهتماما خاصا من طرف السلطات، تُرجم ذلك على أرض الواقع في ازدياد الطرق الصوفية ومريديها، خاصة في منطقة الجنوب الغربي، هذه المنطقة التي لم تنل حظها من البحث والاهتمام من طرف الباحثين، حيث ظهرت بها عدة طرق صوفية منها الطريقة الشيخيّة، فمؤسسها ينتمي إلى أهم القبائل التي استوطنت هذه المنطقة ، التي عُرفت بمكانتها العلمية والدينية (البوبكرية)، إذ وجدت الشيخية المناخ المناسب لتحقيق انتشار أوسع، ولعبت أدوارا مختلفة، فالخطاب الصوفي الخاص بشيوخها ومريديها كان له أثر بالغ على المنطقة، وتتعلق إشكالية الدراسة بالطريقة الشيخية وعلاقتها بالسلطة العثمانية وأبرز إسهاماتها بمنطقة الجنوب الغربي خلال الفترة الحديثة، وذلك من خلال طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما هي ظروف نشأة الطريقة الشيخيّة؟ وكيف كانت علاقتها بالسلطة العثمانية؟
- ما مختلف الوظائف و الأدوار التي قامت بها الزوايا الشيخيّة بمنطقة الجنوب الغربي؟
- إلى أي مدى ساهمت الطريقة الشيخية في إرساء قيم التعايش والتسامح بالجنوب الغربي؟

ومن أجل تناول الموضوع تم التطرّق إلى حالة الجنوب الغربي في الفترة العثمانية، ثم نشأة وانتشار الطريقة الشيخيّة، وموقف السلطة العثمانية منها، ثم بعدها عرجنا للحديث عن أبرز زوايا الشيخيّة في المنطقة وأدوارها المختلفة، وإسهامات الطريقة بالجنوب الغربي.

2. أوضاع الجنوب الغربي خلال العهد العثماني:

يتكون الجنوب الغربي للجزائر من خمس ولايات؛ البيض، النعامة، بشار، أدرار، تندوف، ويشكّل جزءا مهما من الهضاب والصحراء الجزائرية، وتمّ التركيز على الجنوب الغربي الأعلى، الذي هو محور دراستنا بحكم أنه شهد ميلاد الطريقة الشيخيّة، وهو موطن البوبكريّة التي ينتمي إليها سيد الشيخ، والذي يحوز موقعا استراتيجيا، هو همزة وصل بين التل والساورة وتوات في الجنوب، قسمه الشمالي عبارة عن هضاب عليا، أمّا الجنوبي صحراء، كما يمثل حلقة وصل بين قصور فِكيك والصحراء الوسطى (الأغواط) وما جاورها. ويتميز الجنوب الغربي الأعلى بطابعه الجبلي، فالقصور تقع بين أحضان سلاسل الأطلس الصحراوي، والتي تتمثل في: قصور فِكيك، بَني وَنيف، مُقْرار التَحْتانِي، الصفَيْصيفَة، عَسْلَة، عَيْن الصَفْراء، تيوت، الشَلّالَة الظَهْرانِيَة، أرْبَا الفَوْقاني والتَحْتاني، الأَبْيَض سيد الشيخ،كراكْدَة، الغاسول، برَيْزينَة، ستيتَن (موساوي، 2019: 25،23)،فالأهمية الجغرافية للقصور جعلت منها مناطق نزاع بين القوى الفاعلة عبر تاريخ المنطقة.

شهد القرن السادس عشر الميلادي ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية، وتشكّل الحكم العثماني، الذي عاصر الدولة السعدية في المغرب الأقصى، وقد اعتمدت السلطتان على رجال الزوايا والطرق الصوفية، ومنحتهم الامتيازات، فكانت منطقة الجنوب الغربي محل صراع بين الدولتين.

فالعثمانيون تركوا المجال لاستقلال عديد القبائل مقابل الاعتراف بسلطتهم والالتزام بدفع الضرائب، حيث وُجدت عدة قبائل مستقلة عن السلطة، مثل التي كانت تتنقل في مناطق الأطلس الصحراوي (أولاد نائل، العمور، القصور) وتخوم الصحراء (سعيدوني و بوعبدلي، 1984 :109)، وكانت أجزاء كبيرة من البلاد مستقلة، لا تخضع للوجود العثماني بل هي تحت تصرف أمراء محليين (بالحميسي، 1981 :28)، لكنّ مطامع المغرب في السيطرة على المنطقة ظهرت واضحة من خلال عدة حملات؛ حيث أرسل أحمد المنصور سرية من أجل الاعتراف بسيادته على واحة فِكيك سنة 1582م، لكن العثمانيين تدخلوا في سنة 1583م، واعتبروا فِكيك تابعة لهم، وتوغلوا في الأراضي المغربية (بن عمارة، 2013: 91)، فقد احتج حسن باشا على قرار أحمد المنصور الذي أكّد أنّ استنبول منحته فِكيك، فعرض حسن باشا الأمر على استنبول، خوفا من تعرض حامية جمع الضرائب للقتل، لكنّ السلطة في استنبول ردّت بأن تبقى فِكيك تابعة للجزائر مثلما كانت في الماضي، ورفضت التدخل المغربي فيها (ألتر، 1989: 266)، ثم قامت حملة أخرى في عهد الدولة العلوية قادها مولاي محمد سنة 1647م، حيث أخضع عدة قبائل ومر بجبل العمور واستولى على عين ماضي والأغواط، ما جعل

العثمانيين يتدخلون مرة أخرى لحماية المنطقة ويطالبونه بالكفّ عن هذه الممارسات، كما وقع اجتياح أخر لمولاي إسماعيل سنة 1679م (بن عمارة، 2013: 95).

فهذه الأحداث تؤكد الأهمية التي كانت تحظى بها منطقة الجنوب الغربي خلال الفترة العثمانية، ولو أنّ سياسة العثمانيين في منطقة الجنوب التي تركوا فيها نوعا من الاستقلال للقبائل ساهمت في توتر الأوضاع، وسمحت بالتدخل المغربي في المنطقة، خاصة إذا علمنا علاقة العداء بين المغرب الأقصى والسلطة العثمانية في الجزائر.

3. ظهور الطريقة الشيخية وانتشارها

1.3 التصوف والطريقة:

التصوف (أنظر التعليق رقم:01) الإسلامي سلوك إرادي ظاهري قلبي متواصل مستند إلى شريعة الإسلام، ودعامته الفضائل الخلقية الإسلامية له دوافع وحوافز ترجع إلى استعداد خاص لدى الفرد، والهدف من هذا السلوك هو التقرب إلى الله، فالصوفي المسلم يحدّد طريقته في السلوك بالرجوع إلى الإسلام وشريعته وآدابه، ولا يسلك سلوكا يخالف ما هو موجود في الشريعة قولا كان أم فعلا، ما يجعله يمارس الفضائل الخلقية (عزمي طه، 2015: 22). عرّف ابن خلدون التصوف على أنه «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة» (ابن خلدون، 2001: 611)، كما أن الجنيد عرف التصوف بقوله«التصوف ذكر مع اجتماع، ووجدْ مع استماع، وعمل مع اتباع»، وقال الشلبي: «التصوف الجلوس مع الله بلا هَمْ»، وعرفه الجريري«التصوف مراقبة الأحوال ولُزوم الآداب» (القشيري، 2001: 314)، وقال أبو علي الروذبالي: «الصوفي من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى(الكلاباذي، 1993: 18)، «فالتصوف الحق هو الحياة الربانية التي توازن بين متطلبات الجسم، ومتطلبات الروح؛ بل نتجاوز المادة إلى الروح والدنيا إلى الآخرة، وترتفع بالإنسان المخلوق إلى معرفة خالقه وعبادته ومحبته، وإيثاره على كل ما سواه، عن طريق تزكية النفس ومجاهدتها» (بونيف، 2014: 09).

وبعد انتشار التصوف الجماعي أنشأ المتصوفة مؤسسات أصبحت تُعرف بالطُرق (أنظر التعليق رقم:02) وهي تنسب إلى المشايخ الذين أسسوها، فيقال طريقة فلان وهذه الطريقة تعتمد على مجموعة من الممارسات متمثلة في أذكار وطقوس وحركات، مع مرور الوقت أصبحت هذه الممارسات شعبية بعد أن كانت حكرا على مجموعة خاصة (سعد الله، 2009: 192). والطريقة تعني عند

القُشيري مجموعة من الآداب والأخلاق التي تتمسك بها طائفة معينة من الصوفية، فهي عهد بين المُريد وشيخه على التزام الذكر والوِرد ويسمى المنتسب مُريداً، كما تُمثل طريقا مُوصِلة إلى النجاة، وهي مجموعة من الشعارات والممارسات والأذكار التي تختلف فيها كل طريقة عن الأخرى، على أنّ الداخل في هذه الطريقة يأخذ عن الشيخ أو خليفته وِرداً ويُصبح هذا الورد هو تعاليم الطريقة، وبهذا فإنّ الطريقة أشبه بمدرسة يلتقي فيها مجموعة أفراد بعد أن ينتسبوا إليها، ويخضعون لنظامها الدقيق في تربيتهم الروحية، ويكون ذلك بإشراف شيخ الطريقة المُطاع من طرفهم، وتختلف الطرق في بعض المظاهر وأساليب التدريب والأوراد (سعد الله، 2011، ج4: 18).

فالتلميذ هو الذي جاء للدخول إلى الطريقة، ولمّا يدخل يصبح مُريدا، وإذا تقدم في الممارسات يصبح فقيرًا؛ أي الذي اختاره الله لحبّه، ثم يواصل حتى يصبح سالكا وهو الماشي في طريق الله، حتى يُصبح مجذوباً؛ الذي يرى رؤى غير طبيعية؛ أيْ الدرويش عند العامة، كما أنّ الطرق الصوفية لها قواسم مشتركة كالممارسات والسند (السلسلة)، نجد معظمها لها سند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو أبي بكر الصديق، (سعد الله، 2011، ج4: 19).

2.3 التعريف بالطريقة الشيخية :

الطريقة الشيخية هي طريقة صوفية ظهرت على يد الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة المعروف بسيدي الشيخ وكان ذلك خلال الحكم العثماني للجزائر ، وأصولها ترجع إلى عدة طرق منها القادرية والشاذلية والطيبية، كان مؤسسها قادري الطريقة غير أنّه أصبح مُقدّم للطريقة الشاذلية، وأوصى أبناءه باتباع هذه الأخيرة التي أخذها عن الشيخ السهيلي (سعد الله،2011،ج4 :103)، ولها أوراد وسندها حيث ترتبط سلسلة شيوخها بالرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق رجال مشهورين في الزهد والورع والعلم والمعرفة (خليفي، 2006: 13).

أمّا عن عملية الانتساب لهذه الطريقة فهناك شروط يجب إتباعها، منها شروط الصحة المتعلقة بالاغتسال والتلفظ بالشهادتين وأداء ركعتين بسورة الكافرون والإخلاص، طاعة المقدم والمحافظة على حزب الفلاح بعد صلاة الصبح والمغرب، ثم القول في حضرة المقدم بعد مصافحة الشيخ "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، باسم الله الرحمن الرحيم، استغفر الله العظيم وأتوب إليه (مرتين)، اللّهم تُب علينا ووفقنا لما تحبه وترضاه" ويصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم،كما أنّ هناك شروط كمال على من يستطيعها مثل حفظ القرآن الكريم وقيام الليل (زروقي، 2016 :164).

إنّ الطريقة الشيخية لها سندها وأورادها، حيث يفتتح سيد الشيخ سلسلة أشياخه في منظومته المعروفة بالياقوته بذكر شيخه محمد بن عبد الرحمن السهلي ويواصل ذكر أقطاب السلسلة الذهبية إلى أن ينتهي بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدأ سيد الشيخ سند طريقته كالتالي:

فأوَّلهُم في الذِّكرِ شَمْسُ وُجوُدِنا وقُطـــبُ نُهَى عُلُومِـــنا اللدُنِيَّةِ

إليه انْتهَت رِئاسَةُ القَومِ فَارتـقى على صَهواتِ المَجدِ من غَير مَرية

أبُو عَابِدِ الإلَهِ يُسَمَّى مُحمَّـدا إلى عابِدِ الرّحمَـــنِ يُعْزَى بِنِسْبَةِ (بونيف، 2014: 25).

أمّا وِرد الطريقة يكون بسورة الفاتحة، الصلاة على النبي (ثلاث مرات)، لا إله إلا الله (100مرة)، ثم قصيدة الحضرة وهي ذكر عام يأتي به المريدون الشيخيون في الشتاء خاصة، ويُسمى اليوم الأول (دخول الحضرة)، وغالبا ما يكون الجُمعة (زروقي، 2016 : 155).

3.3 مؤسسها:

هو عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة بن أبي ليلى بن بلحيا بن عيسى بن معمر(بالعاليا) بن سليمان بن سعيد بن عقيل بن حفص (الحفيظ) بن عساكر بن زيد بن حميد (أحمد) بن عيسى بن التادلي بن محمد (الشبلي) بن عيسى بن زيد (زيدان) بن يزيد بن الطفيل(بن ماضي) بن الزغاوي (زغوان) بن صفوان(عبد الله) بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رأس مال، 2011 :217)، فسيد الشيخ ينحدر من البوبكرية، وهي تسمية تشير إلى مجموعة من القبائل تتمركز بقوة في الجنوب الغربي الجزائري، تتكون من عدة أعراش أشهرها أولاد سيد الشيخ، أولاد سيد أحمد المجذوب، أولاد سيد التاج وغيرها، حيث تواجدت فروع البوبكرية في تونس وغادرتها حوالي سنة 1370م، منها سيدي معمر بالعاليا الذي استقر ضواحي رباوات حاليا (بن عمارة، 2011: 07)، وسيد الشيخ هو الابن الثاني بعد أخيه إبراهيم، ولد سنة 1533م بخيمة أبيه المتنقلة مابين رباوات والشلالة، أخذ عن جده سيدي سليمان، وانتفع بعمه سيدي أحمد المجذوب، حيث حفظ القرآن الكريم، بعدها تنقل إلى قورارة، إذ يذكر أحمد بن أبي بكر السكوني «إنه نزل ببلدة أولاد سعيد من قرى قورارة، ووافق نزوله ليلة السابع والعشرين من رمضان، وطلب بعض الزائرين للبلدة من يصلي بهم تلك الليلة، فصلى بهم سيد الشيخ» (طواهرية،2002: 41)، بعدها أخذه والده إلى فكيك للدراسة أين أثبت تعلقَه بالدراسة، ولما وصل 15سنة التحق بزاوية مول السهول سيدي محمد بن عبد الرحمن حيث أصبح من أحسن الطلبة وأُعجِب به شيخه (بن براهيم،2016 :92)،اهتم عبد القادر بن محمد بتربية المريدين بعد أن أسس زاوية العباد، غير أنه تعرض لانتقاد فقهاء فكيك الذين

اتهموه بالشعوذة والبدعة وحتى أبو محلي الفيلالي(أنظر التعليق رقم:03)صاحب زاوية بني عباس ناصبه العداء، كان كثير التنقل زار تلمسان ووهران وقورارة وغيرها، كان سيد الشيخ ذا صيت ونفوذ فخروجه في موكب مثل السلطان، اتسم برعاية وحماية المظلومين كما أنه جمع بين النسب والعلم والتقوى (خليفي، 2006 : 19)، أسس عدة زوايا منها المتنقلة أو الثابتة، في ربيع سنة 1616م، تعرض للمرض بمنطقة جبل كسل (ستيتن) فأرسل لأبنائه وأوصى بدفنه بالأبيض، كانت وفاته يوم الجمعة 02 جمادى الأولى 1025هـ الموافق لـ 19 ماي 1616م،وذكر العياشي أن سيد الشيخ توفي في المنطقة الواقعة بين الكراكدة وربا(العياشي، 2006 ،ج2: 548)، تم تغسيله في المنطقة التي كانت تسمى عين المغسل(16كم جنوب ستيتن)، دُفن سيد الشيخ في المكان المسمى الفرعة بحاسي الأبيض، الذي سيحمل فيما بعد اسم الأبيض سيد الشيخ (بن عمارة، 2011 : 72). يُطلق على سيد الشيخ عدة ألقاب (بوسماحي، القرمامي، العارف، رحل البيضا، مول الفرعة، مول القباب السبعة) ولكل منها دلالة معينة (خليفي، 2006: 17). خلّف مؤلفات في التصوف وهي؛ قصيدة الياقوتة في 178 بيتا، الحضرة وهي قصيدة من 24 بيتا، ورسالة في التصوف متعلقة بأصول الطريقة والعهد والتلقين (طواهرية، 2002 :57).

4.3 عوامل انتشار الطريقة الشيخية:

1.4.3 سياسة العثمانيين اتجاه الطرق الصوفية:

شكّل موضوع التقرّب من رجال الزوايا والطرق الصوفية أحد أهم مرتكزات السياسة الدينية بالجزائر العثمانية، على اعتبار أن السلطة اعتمدت على المتصوفة في تثبيت حكمها، ومنحتهم عديد الامتيازات، نظرا للمكانة التي تمتع بها هؤلاء في المجتمع الجزائري، وظهر جليا التحالف بين السلطة الروحية والسلطة العثمانية الذي تعددت مظاهره.

وعلاقة العثمانيين بالتصوف ورجاله وطيدة، حيث كان الفكر الصوفي دعامة أساسية للدولة العثمانية في الأناضول، فالدراويش كانوا الروح التي تحرك الجندي العثماني، وأبرزهم الحاج بكداش (أنظر التعليق رقم:04) وأتباعه المعروفين (بالبكداشية)، التي كانت لها علاقة بالإنكشارية، فالحاج بكداش هو الذي احتضن النظام الإنكشاري، وألبسهم لباساً خاصا (أنظر التعليق رقم:04) ، وتشكلت العلاقة الوطيدة بين الصوفية والجيش الإنكشاري، الأمر نفسه حدث في الجزائر (سعد الله،2011، ج1 :186)، فعلى سبيل المثال، الباي محمد الكبير (أنظر التعليق رقم:06) ظهر توسله بالأولياء أثناء

عملية استعداده لفتح وهران النهائي سنة 1792م، حيث أمر بجمع أعلام أوليائها؛ سيدي عبد الرحمن، أحمد بن يوسف الملياني، عبد القادر الجيلاني وذلك تبركا بها واستعانة بأهلها (الناصر، 2005: 38)، كما اهتم برموز التصوف، إذ قام ببناء مشهد الولي الصالح محمد بن عودة، وأحمد بن يوسف الملياني (الراشدي، 2013: 141)، وبهذا فإنّ تقرب العثمانيين من رجال التصوف كان نابعا من عقيدة فيهم، كما فعل آباؤهم في أناضوليا والبلقان عندما كانوا يأخذون البركات من البكداشية لينطلقوا للجهاد، فالجندي الإنكشاري الذي يأتي إلى الجزائر يحمل معه تلك الأفكار الصوفية، فيجد فضاء صوفيا مماثلا فيتعلق به، ونخصّ بالذكر صوفية الجزائر (قيداري، 2015: 112)،حيث اعتمد العثمانيون عليهم لدعم سلطتهم بالجزائر، لذلك كان هذا عاملا مهما في انتشار الطرق الصوفية، فقد تلقت الشيخية كل الدعم من طرف السلطة، تمثل ذلك في الاحترام الذي كان يحظى به سيد الشيخ.

2.4.3 الدور المحوري لسيد الشيخ:

كان للنشاطات الاجتماعية والسياسية التي قام بها سيد الشيخ دوراً بارزاً في ازدهار وانتشار الطريقة الشيخية، حيث بدأ بعلاقة المصاهرة، إذ كانت له علاقات قوية مع بني عامر والمناطق الجنوبية المتمثلة في "توات وقورارة"، فزوجته الثالثة من أولاد سعيد بقورارة، ولسنوات عديدة أنشأ سيد الشيخ شبكة من العلاقات عن طريق المصاهرة مع مختلف الجهات والقبائل الفاعلة في الحياة السياسية (بن براهيم، 2016: 115)، كما أكمل أبناء سيد الشيخ ما بدأه حيث خلّف 18 ابنًا تواجدوا في مختلف المناطق، إضافة إلى مُقدَمي زاوية سيد الشيخ الذين اختارهم، ساهموا بدورهم في نشر أفكار الطريقة الشيخية، حيث بعث العديد منهم لمختلف الحواضر مثل الجزائر، تلمسان، توات، وغيرها من المدن (بن براهيم، 2016: 117). وقد حظي سيد الشيخ بالاحترام من طرف العثمانيين وحتى السعديين، فقد تنافس الطرفان على صداقته لأنه مثل عنصرا مهما للاستقرار في هذه المنطقة الحدودية، حيث سهّلت له السلطة العثمانية تنقلاته عبر شمال البلاد، وكان يُستقبل بكل التشريفات التي تُناسب مكانته كممثل للبوبكرية وشيخ للزاوية الشاذلية، إذ أنّه أرسى زعامته على القبائل الرُحَّل بمنطقة الجنوب الغربي، وعلى جزء من سكان فِكيك، وعلى جزء مهم من القصور (بن عمارة، 2011: 53)، فالعثمانيون ولعدم قدرتهم على مراقبة الجنوب اتخذوا منه حليفا، ما سمح لسيد الشيخ بنشر فكره الصوفي والحثّ على الجهاد.

4. الطريقة الشيخية والسلطة العثمانية

حظي سيد الشيخ باحترام الجميع، حيث تحدث العياشي عن ذلك قائلا: «كان الولي الصالح عبد القادر بن محمد بن سليمان ابن بوسماحة، ويعرف عند أهل بلده بسيد الشيخ، وأولاده حتى الآن يدعون أولاد سيد الشيخ، وله حرمة وصيت في هذه النواحي وصحرائها»(العياشي، 2006،ج1: 111). وقد تعجب أهل الصحراء في ولايته ومكاشفته(الناصري، 1986: 47)، ومن هذا المنطلق كانت السلطة العثمانية حريصة على استقطاب سيد الشيخ والتعامل معه، وأضحى من أهم حلفائها في بايلك الغرب(أنظر التعليق رقم:07) الجزائري.

وكانت اللقاءات الأولى لسيد الشيخ مع السلطات العثمانية بداية سنة 1550م، وهذه اللقاءات حدثت في أسواق منطقتي تلمسان وسيدي بلعباس وهي أماكن إلتقاء قوافل القبائل الجنوبية لبيع المواشي ومنتوجات أخرى وتشتري بالمقابل الحبوب، وبعد وفاة والد سيد الشيخ خلفه على رأس البوبكرية، وأصبح المحاور للسلطة، فقد شجعته للقيام بجولات نحو التل، حيث زار مختلف القبائل منها: حميان وبني عامر وبدأ في نشر أفكاره الدينية، كما منحته السلطة عديد الامتيازات والهبات، وحث على الجهاد لطرد الاحتلال الاسباني(بن عمارة، 2011: 44)، هذا الأمر الذي جعل السلطة تتقرب منه أكثر، حيث تأكدت من مواقفه اتجاه العدوان الاسباني، فقدم له الحكام العطايا عربون وفاء ودليل احترامهم له، ومن هذه الهبات الأسيرة المسيحية التي تزوجها واعتنقت الاسلام وهي"الياقوت" والدة إبنه سيد الحاج أحمد، وامتدت العلاقة إلى تبادل الرسائل مع السلطة المركزية بمدينة الجزائر (بن ابراهيم، 2016: 123).

وبهذا فإن الشخصية المنفتحة لسيد الشيخ و خطابه الصوفي المعتدل والمتسامح والظروف التي عاشتها منطقة الجنوب الغربي كلها عوامل ساهمت في ربط علاقة جدُ حسنة مع السلطة العثمانية .

5.الزوايا الشيخية بمنطقة الجنوب الغربي

1.5 تعريف الزاوية:

برزت مؤسسة الزاوية التي احتضنت الطريقة ودعمتها، حيث كان للطريقة الواحدة عدة زوايا، قدمت خدمات عديدة للمجتمع، خاصة المهمة التعليمية، كما ساهمت في نشر الفكر الصوفي على اختلاف مشاربه. وكانت لها سلطة قوية داخل المجتمع بفضل التأثير على فئات هامة من المجتمع .

الزاوية «مفرد زوايا ومعناها انزوى أي انعزل إلى ركن في البناء، فيقال انزوى القوم بعضهم لبعض وتعني انعزلوا» (ابن منظور، 2008: 109)، والزاوية هي مؤسسة دينية يسيّرها شيخ صوفي، حيث يسهر على تربية مريدي طريق الحق، بواسطة الذكر والتحلّي بالأخلاق وتأهيلهم للمعرفة الربانية (البوشيخي، 2013: 78). ويذكر الكثير من المؤرخين أن الزاوية كانت في الأصل رباطا (أنظر التعليق رقم:07) تحول مع مرور الزمن إلى "زاوية"، فقد كانت على طول الساحل الجزائري أواخر القرن الثاني هجري، والتي اكتظت بالنخبة من رجال العلم والمعرفة من أجل العلم والجهاد، لكن بعد انقضاء الجهاد تحولت تلك الرباطات إلى زوايا (العقبي، 2009: 218).

كان للزوايا بناء يختلف عن المسجد والمدرسة، فالزاوية جمعت بين المنزل والمسجد وهي قصيرة الحيطان منخفضة القباب وقليلة النوافذ، وحتى المساجد التابعة لها هي بدون مئذنة، وشكل الزاوية يوحي بالعزلة والتقشف (سعد الله،2011 ،ج1 :269)، والزاوية تحتوي عادة على مصلى ومدرسة لتحفيظ القرآن، كما تضم غرفًا أو مراقدَ لإيواء الطلبة والضيوف، ويُلحق بها ضريح الولي الصالح غالبا ما يكون هو المؤسس أو أحد المرابطين المشهورين (شهبي، 2007: 14)، أما عن مصادر تمويل الزوايا فهي عائدات الأوقاف كالأراضي والعقارات، إضافة إلى حق الزيارات التي يأتي بها الزائر من عطية أو هبة، وقد تكون في شكل ألبسة أو أغذية، وكذلك ما يُحصّله الوكلاء باسم الطريقة وفي المواسم، حيث يذهب هؤلاء بأمر من الشيخ لتحصيل المستحقات على الإخوان و الأتباع (سعد الله، 2011، ج4: 284).

2.5 أهم الزوايا الشيخية:

أ- زاوية فِكيك: بعد ملازمة سيد الشيخ لشيخه محمد بن عيد الرحمن السهلي، الذي أذِن له بإنشاء زاوية بفِكيك في "العباد"، وكانت في الهضبة المُطلّة على قصر أزناكه، وسمّاها العباد تيمنا بعباد تلمسان (طواهرية، 2002: 42)، كما تمكّن سيد الشيخ من تأسيس زاوية جديدة على بعد 05 كم شرق العباد، بعد أن تحصل على أرض قرب قصر الحمام الفوقاني في" أجدل"، حيث عكف على بناء زاويته الجديدة التي أخذت اسم الزاوية السهلية تكريماً لشيخه، المدفون ببُذنيب بالمغرب الأقصى (بن عمارة، 2011: 54)، وبالتالي أصبح لزاوية فِكيك فرعين؛ الأول بالعباد سمي تكريما لشيخ الصوفي سيدي بومدين، والثاني أجدل أخذ اسم الزاوية السهلية تَيَمُّنًا بعد الرحمن السهلي.

ب- زاوية مُغْرار التحتاني: اختارها سيد الشيخ مُغْرار التحتاني نظرا لموقعها المُهم بالنسبة لطرق القوافل التجارية ، حيث وُجدت في طريق القبائل مثل حميان الذين كانوا ما بين عين بن خليل ومشرية والنعامة، واشتهروا بتنقلاتهم كل سنة إلى الصحراء للتجارة، وشكّلت مُغرار التحتاني مركز عبور بالنسبة لهم، حيث يتم تخزين القمح والشعير بها (بن عمارة، 2011: 23)، غير أنّ تأسيس هذه الزاوية كان اختبارا لسيد الشيخ على عدة مستويات، فقد كان يفتقر للخبرة في إدارة الزوايا، إضافة إلى التزامه بتقديم زاويته الجديدة وبرنامجها المطابق للزوايا المغربية، فقد ازدحمت الزاوية بالزائرين وسكان القصور، إلّا أنّ سيد الشيخ عهد بالزاوية إلى خَدَم مُكلّفين ومُعلّم قرآن (بن عمارة، 2011: 25)، حيث أنّ الزوايا القديمة الموجودة كانت تنافسه، بعدها قرّر سيد الشيخ تغيير المكان والتوجه إلى حميان ومشرية ثم عين ماضي شرقا وتسالة شمالا، ثم توات جنوبا ليعود إلى فكيك التي عارضه أهلها، واضطر إلى مغادرتها (بن براهيم، 2016: 18).

ج- الزاوية المتنقلة: قرّر سيد الشيخ أن يؤسس زاوية متنقلة بين البدو والرحل خاصة في مواسم تجارة القوافل، وأصبحت بعد سنة 1560م تضم مجموعة خيم التي كانت تصطحب قوافل التجار المتجهة نحو قورارة شتاء عبر الواد الغربي وواد الناموس، أمّا صيفا تتوجه إلى الشمال نحو بلعباس ومعسكر وتلمسان (بن براهيم، 2016: 35)، فقد جمع سيد الشيخ الخِيَم الأساسية المتعلقة بعائلته التي تكونت من زوجته الأولى، التي تعود أصولها إلى قبيلة بني عامر، وأطفاله الأوائل، والزوجة الثانية (ابنة عمه سيدي أحمد المجذوب)، وأم كلثوم ابنة سيدي بوتخيل، إضافة إلى خيمته الشخصية، وخيم أخرى متعلقة بالمؤونة والاستقبال، هذه الزاوية التي أكسبته شهرةً لا نظير لها، وقصده الزوار والطلبة من أجل العلم، ففكّر في بناء زاوية ثابتة (بن عمارة، 2011: 36).

د- زاوية الأبيض سيدي الشيخ: بعد تجارب سيد الشيخ السابقة حول الزوايا خاصة المتنقلة، اتخذ زاوية في الحاسي الأبيض في الأراضي الواقعة على جانب الوادي الغربي جنوب ربا (25كم)، إذ يوجد بها آبار، وهي تمثل خط انطلاق القوافل التي تتكون من قبائل المنطقة (بن عمارة، 2011: 38)، وتمّ تأسيسها حوالي سنة 1580م، وتولاها سيد الشيخ بنفسه (بن براهيم، 2016: 111)، حيث قرّر نصب خيم زاويته المتنقلة، وكان اختيار الموقع بعناية فائقة، فقد كان يمثل مكان عبور لجلّ قبائل الأطلس الصحراوي(البوبكرية، أهل ستيتن، عكرمة، أولاد زياد، الرزاينة، وقبائل الأغواط منهم أولاد مومن، الزريقات)، إضافة إلى القصور المجاورة مثل البنود، بوعلام وغيرها، هذا ما يوفر مداخيل مهمة

للزاوية بفضل التبرعات، كما أنّ اختيار منطقة الحاسي الأبيض له دلالة دينية، بحكم أنه شكل مكان إقامة سيدي معمر بالعاليا (بن عمارة، 2011: 43). أصبحت زاوية الأبيض سيد الشيخ الأكثر شهرة في منطقة الجنوب الغربي، ما جعل سيد الشيخ يعامَل كشيخ إمارة، حيث كان له الختم الذي يختم به على المراسلات مع الجهات الرسمية أو غيرها، كما وُجد له علم يرمز لسلطته (بن براهيم، 2016: 167).

يمكن القول إنّ زوايا الشيخية ملأت ربوع منطقة الجنوب الغربي، ويعكس ذلك امتداد الطريقة الشيخية، فجُل القبائل احتضنت هذه الطريقة.

3.5 الأدوار المختلفة للزوايا الشيخية

1.3.5 الدور الاجتماعي:

عملت الطرق الصوفية على نشر السلوكات السويّة وتزكية النفس والصلاح والتقوى من خلال تلك الأذكار والأوراد، وكذلك الجلسات المنتظمة للتلاوة وسماع الدروس، وعملت على إزالة الفوارق الاجتماعية، بانصهار مختلف الفئات، فالكل إخوان لا فرق بين الفقير والغني، إضافة إلى تعلّم الصبر من خلال جلوس المُريد لفترات طويلة، والتكفّل بالجانب المادي للطلبة، عن طريق توفير السكن والإطعام، هذا ما شجع الفقراء على الالتحاق بحلقات العلم، والانضمام للطرق الصوفي (شترة، 2015: 222).

كانت زوايا الطريقة الشيخية مؤسسات اجتماعية، اهتمت بالمحتاجين والفقراء واليتامى وأبناء السبيل، وذلك من خلال الحُبوس، فقد كانت لسيد الشيخ بساقية اتزدارت طاحونتان للقمح، وثماني عشرة ناقة وثمانون "جنانا" وستون خروبة ماء (كل خروبة هي 45 دقيقة ماء)، سخّرها لزُوار زاويته (البوشيخي، 2013: 35)، ففي سنوات الغلاء نزل بإحدى زوايا سيد الشيخ نحو ثلاثمائة رجل من قبيلة خراج، الذين أكرمهم، وآوى نحو أربعمائة فارس من عرب المشرق في ليلة مظلمة وباردة، كما عملت زوايا الشيخية على دعم التضامن والتكافل الاجتماعي بين أهل المنطقة من خلال فرض غرامات مالية على المخالفين، من أجل توزيعها على الفقراء والمساكين، هذا ما قام به سيد الشيخ مع المتصارعين من قصر بني شريمن، حيث فرض عليهما غرامة قدرت بمائة وخمسين دينارا، وزّعها على فقراء القصر، كما قدّم تبرعات لأولاد عزوز من أجل إنجاز سد وتخلصوا من مشاكل فيضانات الأودية (موساوي، 2019: 167).

فالزوايا الشيخية لم تكن منغلقة على نفسها، بل كانت منفتحة على المجتمع، وقامت بالعديد من المهام على المستوى الاجتماعي، ما جعلها تحظى باحترام الجميع في منطقة الجنوب الغربي.

2.3.5 الدور التعليمي:

لعبت زوايا الطرق الصوفية دوراً مهماً في التربية والتعليم وتلقين كتاب الله والسنّة النبويّة لشتى شرائح المجتمع، واهتمت بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، ما ساعد على محو الأمية، فقد كان معظم الناس في المدن يعكفون على حفظه ويسعون لتطبيقه، كما احتضنت اللغة والثقافة العربية، ووطدتها في المجتمع، وخرّجت الكثير من العلماء الكبار والفقهاء والقضاة، منهم من كانت له مساهمة فعالة في التطور الفكري والثقافي (بوعزيز، 2009،ج1: 237)، وساهم نشاط الصوفية في ازدهار حركة التعليم وأنواعه، وتطور طرق التدريس، وكان لهم دور في نشر التعليم وتعميمه ليشمل معظم الفئات الاجتماعية، إضافة إلى جهودهم في تفسير القرآن والحديث ، ظهر ذلك جليا عند انتقال رجال التصوف إلى حواضر المشرق (مصر، الحجاز، الشام)، أين ناقشوا بحلقات دروسهم ومصنفاتهم التي أكدت مستواهم العلمي (دبوب، 2002: 11).

ظلت الزوايا الشيخية مركز إشعاع علمي، ما جعل عدد المتعلمين بها يكون من مختلف الأعمار والفئات، الذين قصدوها لحفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم اللغوية والثقافة العربية والإسلامية، ومبادئ الفقه وعلوم أخرى كالحساب مثلا، كما كانت منتدى علمي للطلبة والفقهاء والمريدين، حيث كان لسيد الشيخ مجلسٌ في أخر النهار، يقرأ عليه الفقهاء كتاب صحيح البخاري، هذا ما أكده بن عابد الفاسي في قوله: «فأقمت عنده أياما في أطيب حال وأنعم بال مع طلبة العلم والفقراء ويقرأ بين يده كتاب البخاري بعد صلاة العصر إلى اصفرار الشمس» (بن عابد، 1993: 86)، وكان يقصده الفقهاء بعد صلاة العشاء، كما اهتم سيد الشيخ بالكتب، ويتضح ذلك من خلال الكتاب الذي أهداه له أحمد المنصور والمتمثل في "تنبيه الأنام لابن عظوم القيرواني" (موساوي، 2019: 170).

6. الطريقة الشيخية وقيم التعايش والتسامح بالجنوب الغربي

كان للسلوك الصوفي دور في تهذيب النفس الإنسانية وتكوين الشخصية السوية الخالية من العقد النفسية والاجتماعية، فكثرة عدد الفضلاء في بيئة معينه يساهم في تنوير المجتمع، وحتى مشايخ الطرق الصوفية كانوا على اتصال بالعامة في كثير من الأحيان، للتوسط وحلّ المشاكل الاجتماعية (عزمي طه، 2015: 120). وتمثلت مهمة الطريقة في تحفيظ كتاب الله وتعليم أصول الدين وعلومه على ضوء العقيدة الأشعرية والفقه المالكي والتصوف السنّي الأصيل، والمحافظة على صلاة الجماعة،

وذكر الله مع الفقراء، وكذا تقديم النصيحة للمسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة (رأس مال، 2011: 122).

عُرف عن سيد الشيخ الإصلاح بين الناس وبين القبائل والقصور المتنازعة، بسب الممتلكات والاستفادة من المياه، حيث قال تلميذه أحمد بن عبد الرحمن في ذلك:

ومَنْ لِي بإصْلاحِ قَبائِل فِتنـــة إذاَ أضْرَمتْ نَارلِقَتلِ السَفاهَـــــةِ

ومنْ يَأمرُ الأعرابَ ثُم الأعَاجِمَ بإِصْلاحِ ذاتِ البَيْن عَنْ شَأنهِ فِتنه (طواهرية، 2002: 56).

كما استعمل زاويته المتنقلة للصلح بين القبائل المتنازعة، حيث يذكر ابن أبي محلي تنقلات سيد الشيخ بين تيقورارين وتوات، وقصد جبل بني يزناسن للصلح بين قبائل خراجة (بن براهيم، 2016: 35)، وسعى لردّ المظالم، وحثّ على صيانة أموال اليتامى وتقديم النصيحة للمعتدين، مستعملا في ذلك ما فتح الله عليه من جاه وحُرمة ومكانة، وما رزقه الله من مال، حيث إنه لم يدخر جهدا في تحقيق النفع للعامة، وبذل طاقته في الإصلاح والقضاء على أسباب النزاع (طواهرية، 2002: 56)، وكان الشيخ عبد القادر بن محمد معروفا بحبه للفقراء والمساكين، متفانيا في خدمتهم، والعمل على حلّ مشاكلهم حتى لُقّب بقاضي الصحراء (زروقي، 2016: 132)، وقد ساهم في حلّ القضايا التي استعصت على القبائل ومعاصريه، كما تميّز بسلوكه الخَيري وتسامحه من أجل نشر قِيَم العدالة، ومحاربة الفوضى والاضطرابات (موساوي، 2019: 163)، ونجح في حل جُلّ التظلّمات والمنازعات التي عُرضت عليه، أبرزها التي كانت تنشب بين أهل فكيك حول مسألة المياه، حيث قال لأهل فكيك: « مالكم تتقاتلون في كل يوم ولا تنتهون، وتقتلون بعضكم بعضا من غير شريعة ولا حق، فلا يحِلّ لكم هذا، فانتهوا عن فعلكم» (موساوي، 2019: 166). وبهذا كان ظهور سيد الشيخ نعمةً على منطقة الجنوب الغربي، عمّ في عهده الأمن والاستقرار، وكان ملجأ للمظلومين، وهاديًا للخير والوئام (خليفي، 2006: 19)، وكان لخطاب سيد الشيخ الأثر البالغ في نشر التسامح وثقافة السلم في منطقة الجنوب الغربي.

7.خاتمة:

ختاما وعلى ضوء ما سبق نخلص إلى تأكيد النتائج الآتية:

- كان للتصوف مكانة أساسية في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي للجزائر خلال الحكم العثماني، حيث ساهمت الظاهرة في انتشار مبادئ الطرقية، وتجميع الناس حول المتصوفة والسلطة العثمانية، ويعود الفضل في ذلك إلى تنقل العلماء ورجال التصوف بين مختلف أنحاء البلاد وخارجها.

- حظيت الطريقة الشيخية بمعاملة حسنة من طرف السلطة العثمانية، فموقف العثمانيين من التصوف كان له الأثر البالغ في انتشارها. كما أن سيد الشيخ كان له الدور الجوهري في توطيد الطريقة ونشر أفكارها إلى أجزاء مهمة بالجنوب الغربي ليتعدى ذالك خارج الجزائر(المغرب الأقصى).

-أثبتت الشيخية حضورها القوي في مختلف مجالات الحياة بمنطقة الجنوب الغربي، والتزمت بواجباتها الدينية والاجتماعية منها التعليم ونشر الأخلاق الفاضلة، فكانت أفصل نموذج للدور الذي يمكن أن تقوم به مثل هذه المؤسسات الدينية، فهي لم تكن طريقة متقوقعة على نفسها تهتم بأتباعها، وكذا أورادها بعيدة عن مشاغل المجتمع، بل كانت تعيش في نشاط وحيوية، تتدخل لحل مشاكل الناس وتهتم بشؤونهم، كما أن خطابها الصوفي أثبت فعاليته بمنطقة الجنوب الغربي، هذا الأمر يترجمه كثرة المريدين والأتباع وصدى الطريقة .

7.التعليقات:

1-اختلف الباحثون في أصل لفظ التصوف، حيث وُجدت عدّة آراء في ذلك؛ الطرح الأول: إنّه من الصفو أي صفاء النفس ، ذلك إنّ تصفية النفس إحدى مستلزمات التصوف للوصول إلى الغاية القصوى. الطرح الثاني: إنّ التصوف نسبة لأهل الصُفَّة (جماعة من المهاجرين كانوا يبيتون في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، يُداومون على العبادة) فسُمي الصوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُفّة، أمّا الطرح الثالث: إنّ المصطلح مشتقّ من الصفّ الأول تمثّلًا بأولئك الذين يحرصون على الصلوات، والطرح الرابع: التصوف كان نسبة إلى "الصوفانة " و هي نبته في الصحراء كان يقتات عليها الزهاد (عزمي طه، 2015: 15) ، غير أنّ أقرب التعاريف إلى الصحة هو الطرح القائل بأن الأصل في التصوف يعود إلى الصوف، الذي كان لباس الزهاد لمخالفتهم اللباس الفاخر (ابن خلدون، 2001: 611).

2- الطريقة مدرسة تربوية تقوم بتعليم المريدين السلوك العملي المُوصل للحضرة الإلهية خلال مراحل متتالية، ولكلّ طريقة أسلوبٌ في التربية وكتبها وأذكارها وأورادها، وتنسب الطريقة إلى مؤسسها (عزمي طه، 2015: 186).

3- هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي محلي السجلماسي الفيلالي، ولد بتافيلالت سنة967هـ-1559م، ينحدر من عائلة ذات علم ومكانة اجتماعية (القدوري، 1991: 38)، تلقى تعليمة الأول في زاوية العائلة ثم انتقل إلى فاس لاستكمال الدراسة، ثم استقر بمنطقة بني عباس، ذاع صيته وكاتب

العلماء والأعيان، التقى سيد الشيخ وتزوج من إبنته، ثم فارقه بعد أن اختصما، حج مرتين وله عدة مؤلفات منها: القسطاس المستقيم والاصليت الخريت ومنجنيق الصخور (بن أبي محلي، 2014: 21).

4- هو الحاج بكداش باماسيا، مؤسس الطريقة البكداشية، قصده السلطان العثماني أورخان لمباركة أول دفعة في الجيش الإنكشاري (الحويري، 2001: 248).

5- اصطحب السلطان أورخان الطليعة الأولى من مجندي الإنكشارية إلى مسكن الحاج بكداش، وطلب منه مباركتهم، فوضع يده على أحد الجنود الواقفين وقال للسلطان: "إنّ القوات التي أنشأتها ستحمل اسم يني شري، وستكون وجوههم بيضاء وضاءة وستكون أذرعهم اليمنى قوية وسيوفهم بتارة وسهامهم حادة"، وتخليدا لبركة الشيخ كان الإنكشارية يضعون على رؤوسهم قلنسوة من الصوف الأبيض (الحويري، 2001: 249).

6- محمد بن عثمان الكردي، كنيته أبو عثمان وأبو الفتوحات، ويُلقب بالكبير وذلك إكراما له على فتح مدينة وهران، أمه جارية تسمى "زائدة"، وأبوه أبو إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي الذي كان خليفة على مليانة ثم بايا على التيطري(بن هطال التلمساني، 2004: 17)، وقد حكم محمد الكبير بايلك الغرب من سنة 1779 إلى 1797م، ويعتبر من رجالات الجزائر العثمانية الذين ساهموا في صناعة تاريخها أواخر القرن الثامن عشر، تميز عن بقية البايات بمشروعه الحضاري واهتمامه بالتأليف والنسخ (بلبراوات، 2016: 93).

7- تأسس بايلك الغرب في سنة 1563م وكانت عاصمته "مازونة" ثم انتقلت إلى "معسكر" ثم "وهران" سنة 1792م (بن ميمون الجزائري، 1982 :36)، امتد من الحدود المغربية غربا الى بايلك التيطري ودار السلطان شرقا، ومن سواحل البحر المتوسط شمالا الى الجنوب الغربي جنوبا، وقد قسم الى ست مناطق (المرسى، دائرة آغا الدوايرر، دائرة قايد الزمالة، دائرة خليفة الشرق، مدن وهران وتلمسان ومعسكر وما جاورها، منطقة فليتة) (بوعزيز، 2009: 46).

8- دلالة على مرابط الخيل، وملازمة ثغور العدو والأصل فيه لزوم الثغور للجهاد ومقاتلة العدو (ابن منظور، 2008: 108).

8.قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون عبدالرحمن. (2001). *مقدمة ابن خلدون*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
2. ابن منظور محمد بن المكرم. (2008). *لسان العرب* (المجلد 06). الجزائر: دار الأبحاث.
3. ألتر عزيز سامح. (1989). *الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا* (الإصدار 01). (محمود علي عامر، المترجمون) لبنان: دار النهضة العربية.

4. بالحميسي مولاي. (1981). *الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
5. بلبراوات بن عتو. (2016). *الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري1779-1797*. الجزائر: دار كوكب العلوم.
6. بن أبي محلي أحمد. (2014). *القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم* (الإصدار 01). الجزائر: دار الكلمة.
7. بن براهيم الطيب. (2016). *إمارة أولاد سيد الشيخ 1580-1881* (الإصدار 01). الجزائر: دار صُبحي لطباعة والنشر.
8. بن عابد يوسف الفاسي. (1993). *رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب الى حضرموت* (الإصدار 01). لبنان: دار الغرب الإسلامي.
9. بن عمارة خليفة. (2011). *السيرة البوبكرية* (المجلد 01). (بوداود عميّر، المترجمون) الجزائر: مكتبة جودي مسعود.
10. بن عمارة خليفة. (2011). *الشيخية بين الدين والسياسة*. الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
11. بن عمارة خليفة. (2013). *تاريخ الجنوب الغربي الأعلى (عين الصفراء، المشرية، البيض، النعامة...) من الأصول إلى غاية حرب التحرير*. (بوداود عمير، المترجمون) وهران، الجزائر: دار القدس العربي.
12. بن ميمون الجزائري محمد. (1982). *التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية* (الإصدار 01). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
13. البوشيخي محمد ابن الطيب. (2013). *أولاد سيد الشيخ الغرابة والشراقة، التصوف والجهاد والسياسة* (الإصدار 03). وجدة: مطبعة أطلال.
14. بوعزيز يحي. (2009). *مدينة وهران عبر التاريخ* (الإصدار طبعة خاصة). الجزائر: دار البصائر للنشر.
15. بوعزيز يحي. (2009). *موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب* (المجلد 01). الجزائر: دار الهدى.
16. بونيف ناصر. (2014). *كؤوس التداني ورياض التهاني فيما حوى ياقوت سيد الشيخ السماحي من روائع المعاني*. الجزائر: دار ابن خلدون .
17. التلمساني أحمد بن هطال. (2004). *رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري1785* (الإصدار 01). الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر.
18. الحويري محمود محمد. (2001). *تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى* (الإصدار 01). مصر: دار الأديب.
19. خليفي عبد القادر خليفي. (2006). *الطريقة الشيخية*. الجزائر: دار الأديب للنشر والتوزيع.
20. دبوب محمد. (2002). دور الحركة الصوفية ببلاد المغرب الإسلامي في الحياة الثقافية والفكرية وتفاعلاتها بالمشرق الإسلامي. *حولية المؤرخ* (02).ص103ص121.
21. رأس مال عبد العزيز. (2011). *الزوايا والأصالة الجزائرية بين التاريخ والواقع(دراسة انتروبولوجية حول صحراء تلمسان وأطرافها)*. الجزائر: منشورات ثالة.
22. الراشدي أحمد بن سحنون. (2013). *الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني* (الإصدار 01). الجزائر: عالم المعرفة للنشر.
23. زروقي محمد. (2016). *التصوف الإسلامي في فرنسا الطريقة الشيخية الشاذلية جسر بين حضارتين* (الإصدار 01). الجزائر: مطبعة الفنون الجميلة.
24. سعد الله أبو القاسم. (2009). *على خطى المسلمين، حراك في التناقض* (الإصدار 1). الجزائر: دار عالم المعرفة.
25. سعد الله أبو القاسم. (2011). *تاريخ الجزائر الثقافي* (المجلد 01). الجزائر: عالم المعرفة.
26. سعد الله أبو القاسم. (2011). *تاريخ الجزائر الثقافي* (المجلد 04). الجزائر: عالم المعرفة.

27. سعيدوني ناصر الدين ، و بوعبدلي المهدي. (1984). *الجزائر في التاريخ العهد العثماني* (المجلد 04). المؤسسة الوطنية للكتاب.
28. شترة خير الدين. (2015). *قضايا التصوف ومظاهر الصوفية، أبحاث عن نزعة الإصلاح وبعض أعلامه بالجزائر* (الإصدار طبعة خاصة، المجلد 01). الجزائر: دار الصديق للنشر والتوزيع.
29. شهبي عبد العزيز. (2007). *الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر*. الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع.
30. طواهرية عبد الله. (2002). *تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي*. الجزائر: المطبعة العربية11 نهج طالبي أحمد(غرداية).
31. عزمي طه السيد أحمد. (2015). *مدخل إلى التصوف الإسلامي*. لبنان: عالم الكتب الجديد للنشر والتوزيع.
32. العقبي صلاح مؤيد. (2009). *الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها* (الإصدار طبعة خاصة). الجزائر: دار البصائر.
33. العياشي عبد الله بن محمد. (2006). *الرحلة العياشية1661-1663* (الإصدار 01، المجلد 02). الإمارات العربية المتحدة.
34. القدوري عبد المجيد. (1991). *ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت*. الرباط: منشورات عكاظ.
35. القشيري أبو القاسم عبد الكريم. (2001). *الرسالة القشيرية*. بيروت: دار الكتب العلمية.
36. قيداري قويدر. (2015). الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر بين 1520- 1830. *مجلة المواقف، 10* (01).ص109ص129.
37. الكلاباذي أبو بكر. (1993). *التعرف لمذهب أهل التصوف* (الإصدار 01). لبنان: دار الكتب العلمية.
38. موساوي مجدوب ولد علي. (2019). *عبد القادر بن محمد الولي الصالح حياته وآثاره*. الجزائر: دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع.
39. الناصر أبوراس. (2005). *عجائب الأسفار ولطائف الأخبار* (المجلد 02). وهران: المركز الوطني للبحث في الأنتربولوجيا الإجتماعية والثقافية.
40. الناصري أبوراس. (1986). *فتح الإله ومنته بفضل ربي ونعمته حياة أبي راس الذاتية والعلمية*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.